

نظرية المعنى و الاستعمال في المدونات المغربية القديمة - كتاب العمدة لابن رشيق المسيلي عينة -

Theory of Meaning in Ancient Moroccan Criticism Book El Oumeda of Ibn al-Rshayq al-Misili model

إسماعيل زردومي²

ismail.zerdoumi@univ-batna.dz

مخبر الشعرية

جامعة الحاج لخضر باتنة 1 / الجزائر

عبد المالك بن جدية¹

abdelmelek.bendjedla@univ-batna.dz

مخبر الأبحاث في التراث الفكري والأدبي في الجزائر

تاريخ النشر: 2022/01/23

تاريخ القبول: 2021/ 11/29

تاريخ الاستلام: 2021/ 10/30

ABSTRACT:

ملخص البحث

This conversation is learning about the founding origins of the Western language lesson to try to dig and dig into the founding modernisations of the Western Linguistic Turn, which was embodied by the Austrian philosopher Wengenstein through his presentations and her approach to Morocco's proverbial blogs and the book El Oumeda of Ibn al-Rshayq al-Misili

Key words: Usage, meaning, Wengenstein, authorship, theory.

تتناول هذه المطارحة معرفيا حول الأصول المؤسس للدرس اللساني الغربي، لتحاول الحفر والتنبش في التحديثات الكبرى للمنحطف اللغوي الغربي والذي شكل منعرجا حاسما في الدراسات اللغوية واللسانية الغربية تجسدت في أعمال الفيلسوف النمساوي فتغنشتاين من خلال طروحاته ومقاربتها بما جاء في المدونات المغربية القديمة في أصولها المعرفية والمثلية في كتاب العمدة لابن رشيق المسيلي، والذي يعد من أهم المدونات النقدية التي حظيت بالدراسة والاهتمام من لدن أهل المعرفة بالنقد الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الاستعمال، المعنى، فتغنشتاين، النظم، النظرية.

1. مقدمة:

لقد حظيت اللغة تاريخيا باهتمام الفلاسفة والباحثين، إلا أنها لم تلق تلك الحفاوة التي ألقتها في مطلع القرن العشرين، إذ أضحت اللغة موضوعا للدراسة بل موضوعا للتفلسف فتجاوزت بذلك الجدل التاريخي حول أصل اللغات البشرية والتصنيف الأجناسي الذي أفرزته سياقات معرفية وتراكمات كرونولوجية / زمنية، ليغدو بذلك الطرح اللغوي موضوع الدراسات الفلسفية، وهو ما عرف تاريخيا بالمنعطف اللغوي، فأخذت الفلسفة بذلك منحى جديدا باتخاذها من اللغة موضوعا للبحث بل أصبحت - أي اللغة - مبحثا من مباحث الفلسفة، وبناء على هذا الطرح يسعى هذا العمل لإجابة على جملة التساؤلات الآتية:

_ ما أبرز العتبات المعرفية التي ساهمت في تشكيل الدرس اللغوي الغربي ؟
_ هل نجد تشابها بين مخرجات الطرح اللغوي الغربي وبين ما أفرزته المدونات المغربية ممثلة في كتاب العمدة لابن رشيق المسيلي ؟.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي في عرض جهود كل من الفيلسوف فتغنشتاين وابن رشيق المسيلي، وعلى المنهج المقارن في كشف أوجه التماثل بينهما .

2. المنعطفات الكبرى في الفكر اللغوي:

لقد أخذ التفكير بعدا جديدا في مطلع القرن العشرين، ليصبح التفكير لغويا بامتياز، فيكاد لا يخرج عن دائرة اللغة، لتؤسس الفلسفة من خلال هذه الطرح مفهوما جديدا عُرف بـ فلسفة اللغة والتي تحاول أن تقدم لنا أوصافا وتخرجات فلسفية للامح عامة في اللغة من قبيل الإشارة و الصدق والمعنى والضرورة المنطقية، ولا تتعلق بعناصر محددة في لغة بعينها إلا بصورة عارضة، وهي بذلك اسم لمبحث أو فرع من مباحث الفلسفة وفروعها شأنها في ذلك شأن فلسفة التاريخ وفلسفة العلم وفلسفة العقل، وعلى هذا النحو فإن فلسفة اللغة ليست دراسة للغة، بل هي حديث فلسفي عن اللغة أو قل إنها تفلسف حول اللغة¹.

فالنقاش في فلسفة اللغة يتجاوز مستوى التوصيف العلمي للغة أو دراسة مستويات اللغة كالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، وما هو مطروح في علم اللغة، ويتجاوز الطرح الذي ينصب حول التأصيل التاريخي للغة الذي أثقل المسار اللساني عبر التاريخ، وإنما ينصب على إعادة موضعة اللغة ضمن مسار الدراسات الفلسفية المعاصرة، وسنقف عند أبرز الممثلين لهذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الفلسفة، وهو الفيلسوف النمساوي لودفيج فتغنشتاين* (Ludwig Wittgenstein 1889-1951) والذي يُعد نقطة انعطاف - بالمفهوم الرياضي- في مسار الفلسفة ليشهد العالم بذلك طرحا جديدا من خلال مقولات فتغنشتاين، الذي ربط المشكلات الفلسفية بسوء فهمنا لمنطق لغتنا، فقد جاء في مقدمة كتابة رسالة منطقية فلسفية ما يلي: "إنه كتاب يعالج مشكلات الفلسفة ويوضح فيما أعتقد أن الذي دعا إلى إثارة هذه المشكلات هو أن منطق لغتنا يساء فهمه"²

فقد انطلق فتغنشتاين من إشكالية جوهرية في تاريخ الفلسفة، هي اللغة، والتي تعد في نظره معضلة الفهم فلما أساء الإنسان التعامل معها استشكلت عليه عديد القضايا الفلسفية . فتصورنا للمشكلات الفلسفية هو في الأصل ناتج عن الفهم السيئ للمنطق اللغوي، فهذه المشكلات - حسب فتغنشتاين - تُحلّ بمعرفة طريقة استخدام النظام اللغوي؛ أي بالبحث على القواعد التي تعمل بها اللغة؛ إذ يقول " المشكلات الميتافيزيقية تُحلّ بالبحث في الطريقة التي تعمل بها لغتنا ، أي بالتعرف على طريقة عمل اللغة واستعمالها، فالمشكلات لا يتم حلها بذكر معلومات جديدة بل بترتيب ما كنا نعرفه بالفعل"³ فلو أجاد الإنسان التعامل مع اللغة بشكل صحيح ودقيق لزال كل التوهّمات والمشكلات الميتافيزيقية، ففي أصلها ليست مشكلات بقدر ما هي دعوة لترتيب للمُنجز المعرفي الذي حصّله الإنسان.

وقد اتخذ فتغنشتاين من التحليل منهجا في دراسة الفلسفة، فالفلسفة كلها عبارة عن تحليل للغة وغاية التحليل هو التخلص من كل أنواع الخلط الذي تمتلئ به الفلسفة ، فكان التحليل هو المنهج السائد. سواء في فلسفته الأولى من خلال كتابة رسالة منطقية فلسفية الذي حاول أن يؤثّر للغة الكاملة منطقيا أو ما عُرف بالنظرية التصويرية للغة، وحتى في المرحلة الثانية من فلسفته عبر كتابه بحوث فلسفية. إذ ركّز فيه على اللغة الجارية أو لغة الاستعمال اليومي، فجاءت فلسفة فتغنشتاين المتأخر لتهدم هذا الصرح المعرفي الذي دافع عليه ردحا من الزمن، والذي وجد قبولا لدى فلاسفة الوضعية المنطقية .

ومن الملاحظ أيضا أن لودفينج فتغنشتاين قد أسس في فلسفته المتأخر لمفهوم جديد عُرف باسم اللغة العادية، تعرّض فيه الى دراسة المعنى وطبيعته، وطرح إشكالا مركزيا عليه مدار الدراسات الفلسفية الحديثة والمعاصرة، بل هو أصل التفلسف قديما وحديثا، وهو سؤال المعنى ، فسؤال المعنى ينبني عليه عديد الإشكالات والأسئلة، إنه سؤال المعرفة، وسؤال الكينونة، وسؤال الفهم ، فأن تعرف معنى شيء ما معناه أن تعرف موقعك منه، لذلك فهو سؤال الوجود والماهية.

لقد أخذ مفهوم المعنى عند فيلسوفنا منحى مغايرا عن الطرح الذي جاء به في فلسفته الأولى والتي ذهب فيها إلى أن الضابط في تحديد المعنى هو معيار التحقق أو مبدأ التحقق، حيث يقول: "معنى القضية هو منهج التحقق منها"⁴ لتتم القطيعة مع كل الإكراهات المنطقية الصارمة التي فرضتها الرؤية المنطقية لفتغنشتاين الذي حاول أن يؤسس لمفهوم جديد سمي باللغة الكاملة منطقيا.

لتتم النقلة - مع فتغنشتاين - من النموذج اللغوي الذي ينبني على معيار أو مبدأ التحقق ويحل مكانه نموذج جديد قائم على التواصل والاستعمال وهذا راجع أساسا إلى اهتمام فلسفة اللغة على الجانب العادي في اللغة وهو جانب التداول اليومي أو الاستعمال اللغوي في العالم المعيشي⁵

3. نظرية المعنى عند لودفينج فتغنشتاين

سنحاول أن نتعرض- بشيء من التشرح - لنظرية المعنى عند فتغنشتاين. فقد استهل كتابه بحوث فلسفية باقتباس نص لأوغسطين في اعترافاته، حيث يقول " حينما كان يسمي (من هم أكبر مني سنا) موضوعا ما، ويتجهون تبعاً لذلك نحوه كنت أرى ذلك وأدرك أن الشيء إنما يسمى بذلك الصوت الذي ينطقون به، عندما كانوا يقصدون الإشارة إليه.

وقد كنت أستنتج ذلك من حركاتهم الجسدية، التي هي اللغة الطبيعية لجميع الشعوب : مثل تعبير الوجه ، وحركة العينين، وباقي أجزاء الجسم، ونبرة الصوت التي تعبر عن حالتنا الذهنية أثناء البحث عن أي شيء أو الحصول عليه، أو رفضه ، أو تجنبه.

هكذا تعلمت بالتدرج عند سماعي للكلمات وهي تستخدم بطريقة متكررة في مواضعها الصحيحة في مختلف الجمل ، أن أفهم الأشياء التي يعنونها أو يشارون إليها .

وبعد أن درّبت فني على تكوين هذه العلامات الصوتية أخذت استخدامها في التعبير عن رغباتي ⁶ لقد قدّم لنا أوغسطين تصورا شاملا - حسب نظره - حول طريقة تلقي اللغة انطلاقا من فكرة المحاكاة أو ما يسمى بمحاكاة النموذج أو القدوة كمرحلة أولى وقد عبر عن ذلك بقوله "حينما كان يسمي (من هو أكبر مني سنا)" وأما عن المرحلة الثانية فهي الجانب الإشاري أو الجانب الشئني من اللغة ويتجلى ذلك في قوله " ... ويتجهون تبعاً لذلك نحوه كنت أرى ذلك وأدرك أن الشيء إنما يسمى بذلك الصوت الذي ينطقون به ، عندما كانوا يقصدون الإشارة إليه " ، وأما عن المرحلة الثالثة فيمكن أن نصطلح عليها بمرحلة الدربة والميران، وتأتي مباشرة بعد تلقي أو سماع الاستخدامات المتكررة للكلمات في المواطن الصحيحة بالنسبة للجمل .

لقد لقيت أطروحة أوغسطين نقدا لاذعا من فتغنشتاين الذي اعترض على هذا الطرح حيث يقول: " يمكن القول بأن أوغسطين يصف نظاما للتفاهم ، لكن ليس كل ما نسميه لغة هو هذا النظام وعلى الإنسان أن يقول ذلك في حالات كثيرة يثار فيها السؤال التالي هل هذا وصف مناسب للغة أم لا ؟ والإجابة عندئذ هي أجل إنه وصف مناسب، ولكن بالنسبة لهذا المجال المحدد فقط لا بالنسبة لكل ما كنت تريد وصفه" ⁷. فتصور أوغسطين لتعلم وتلقي وظيفة اللغة ينبنى على شيء محوري أو جوهري وهو ما اصطلح عليه بالنظرية الاسمية في المعنى.

1.3. النظرية الاسمية في المعنى:

ويمكن أن نوجز مقولات هذه النظرية في نقاط ثلاث:

- يجب أن تتألف اللغة الصحيحة من أسماء كي تكون دقيقة محددة ، وحين نسمي شيئا نتجه لنراه وندرك أن هذا الشيء هو المسمى بذلك الاسم، ويتضمن هذا الموقف أننا ندرك الأشياء أولا مستقلة عن استخدام اللغة ثم بعد ذلك نربط كلا منها باسم .

- لكل كلمة معنى ثابت محدد ويظل هذا المعنى مرتبطا بالكلمة، وحين لا يكون محددا تقول إن المعنى غامض يلزم تحديده.

- إن القضايا التي نؤلفها تصوّر الواقع تصويرا دقيقا على أن الوظيفة الوحيدة للغة هي تقرير وقائع أو وصف خبرات فعلية⁸.

لقد عكف فتغنشتاين في فلسفته المتأخر على دحض مقولات النظرية الاسمية في المعنى، والتي نكاد أن نراها في تعريف أوغسطين، إذ هي بالأساس توجه فتغنشتاين في فلسفته الأولى وفلاسفة الوضعية المنطقية .

إن أبرز نقطة اعترض عليها فتغنشتاين على أوغسطين في تعريفه لوظيفة اللغة هي الجانب الإشاري للغة، وهذا ليس اعتراضا على أوغسطين فقط بل هو اعتراض على ما جاءت به فلسفة الوضعية المنطقية وما جاء في النظرية الاسمية في المعنى، إلا أن فتغنشتاين لا ينكر الدور الفعال لما سماه بالتعليم الإشاري للألفاظ، فيقول: "سأسميه التعليم الإشاري للألفاظ أقول إنّ هذه الطريقة ستشكل جزءا هاما من التدريب على تعلم اللغة، لأن هذا هو الحال بالنسبة للبشر، وليس لأننا لا نستطيع تخيل الوضع على نحو آخر"⁹، ولكن جهة الاعتراض تتجلى في القول بوجود وجود مقابل للاسم في العالم الخارجي ؛ فقبل أن ندرك المسمى بالكُرسي مثلا لابد أن نراه وندركه حقيقة في الواقع الحسي، وهذا الطرح لا يستقيم في العقل لأننا لا يمكن أن نتحسس كل ما يوجد في اللغة داخل العالم الخارجي ، فاللغة عالم فريد من الأنظمة فكيف ندلل - مثلا - على وجود مقابل للأساليب الطلب والاستفهام والتعجب والنداء في الواقع المعيش، والحال نفسه بالنسبة للألفاظ التي تحمل صفة الما ورائية، فخذ كلمة الروح مثلا هل تجد لها سميا في الواقع الحسي ؟ .

بعد الانتقادات التي وجهها فتغنشتاين للنظرية الاسمية والتي تعدّ أي هذه الانتقادات - جزءا من نظريته الجديدة في المعنى فيما يتعلق بالتلقي الإشاري للكلمات، هاهو يرد على زعم هذه النظرية حول وظيفة اللغة ؛ فالقول إنّ وظيفة اللغة الوحيدة هي تقرير الوقائع إجحاف في حق اللغة، بل إن للغة وظائف أخرى الى جانب تقرير الوقائع كإعطاء الأوامر أو التعبير عن شعور ما أو تقديم شكر أو تهنئة ، يقول فتغنشتاين معللا : "إننا نسمي الأشياء ثم نستطيع الكلام عنها: أي نستطيع الإشارة إليها أثناء الكلام كما لو كان نفعله بعد التسمية قائما و متضمنا في مجرد فعل التسمية ، كما لو كان شيئا واحدا فقد يسمى كلاما عن الأشياء ، في حين أننا في الواقع نفعل أشياء كثيرة بالجمال التي نقولها ، فكر فقط في صيحات التعجب بوظائفها المختلفة اختلافا كاملا ماء بعيدا، أوه، النجدة، رائع، لا، هل مازلت تميل بالقول بأن هذه الكلمات "أسماء لموضوعات؟"¹⁰.

ومن المحطات المعرفية في فلسفة فتغنشتاين المتأخر أن اللغة والفكر واللفظ والمعنى والسلوك اللغوي والفهم كلها شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما و أي محاولة للفضل بين هذه الثنائيات هو

محاولة للفصل بين الإنسان وظله ، يقول فتغنشتاين ليس التفكير بالعملية الجسمية التي تهب الحياة والمعنى للكلام، والتي يمكن فصلها عن الكلام ، على نحو ما فعل الشيطان حين أخذ ظل شليميل من على الأرض¹¹ ويعلق الباحث عزمي إسلام على هذا الزعم بقوله: "وهنا يريد فتغنشتاين أن يوضح عدم إمكان فصل اللغة عن الفكر بالقصة التي مؤداها أن الشيطان استطاع أن يحرم شليميل من ظله ، وفتغنشتاين هنا يشبه العلاقة بين الفكر والكلام وبين بعلاقة الإنسان بظله، وكما أنه لا انفصال بين الإنسان وظله إلا في الحكايات وبين الفكر والكلام أو اللغة." فلا يمكن للمعنى أن يؤسس وجوده خارج اللفظ أو الكلمة فهو - أي المعنى - كما قال فتغنشتاين هو الجو المحيط أو المصاحب للكلمة ،وهي بدورها تحمل معها المعنى في كل أنواع الاستخدام .

2.3. الاستعمال اللغوي:

والآن سنحاول أن نرسو أمام أبرز العتبات المعرفية في طروحات الفيلسوف فتغنشتاين، والتي كانت من العلامات الفارقة في تاريخ الدراسات اللغوية المعاصرة، فقد اشتغل فتغنشتاين في مؤلفاته على فكرة المعنى وطرح سؤالاً محورياً في الدراسات اللغوية والنقدية والفلسفية، مفاده كيف السبيل إلى المعنى ؟ أو بالأحرى كيف نفهم معنى كلمة ما ؟

فبعد أن كان معنى القضية ينبنى على منهج التحقق منها في فلسفته المتقدمة والتي اصطلح عليها بمبدأ التحقق ها هو فتغنشتاين يقدم لنا البديل حول قضية المعنى، عبر عنه بالاستعمال اللغوي أو الاستخدام اللغوي، ونجد هذا الطرح مبنوياً في مؤلفه (تحقيقات فلسفية) بشكل مُستفيض . فالطريق المسدود الذي وصلت إليه نظريات المعنى الثابت هو الذي أوحى لفتغنشتاين بنظريته الجديدة في المعنى¹²، والتي تقول بالاستعمال في المعنى، أي أن معنى الكلمة يتحدد باستعمالها السياقي وطريقة استخدامها في الكلام والظروف التي قيلت فيه هذه الكلمة يقول فتغنشتاين: "كأن المعنى هو الجو المحيط أو المصاحب للكلمة التي تحمله معها في كل أنواع الاستخدام...إن السؤال عن المعنى هو السؤال عن الظروف المعينة التي تستخدم فيه هذه العبارة بالفعل¹³ ، ويقول أيضاً: لا تبحث عن المعنى ابحث عن الاستخدام"¹⁴ ويؤكد ذلك بقوله: "إن شرح معنى الكلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها"¹⁵ ويقول "فأنت تعرف معنى الكلمة لأنك تعرف كل استخدامها"¹⁶، والكلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئاً ميتاً وما الذي يعطيها الحياة ؟ إنها تكون شيئاً حياً أثناء استخدامها فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أم أن الاستخدام نفسه هو حياتها"¹⁷ .

ويزداد وضوح نظرية فتغنشتاين في المعنى إذا ما قمنا بشرح نظريته حول ألعاب اللغة "فما المقصود بهذه الألعاب؟ يرى فتغنشتاين أن اللعبة لعبة مثلها مثل باقي الألعاب كلعبة الشطرنج وألعاب الكرات والورق والألعاب الأولمبية، وكما أن لكل لعبة قواعد تحدد طريقة اللعب وبالتالي لا يجوز مخالفتها، فكذلك للغة قواعد ولا بد من مراعاتها وعلى ذلك فإننا إذا ما خالفنا هذه القواعد فإن اللغة تفسد ولا يعود لها معنى وهذا ما يسميه فتغنشتاين بسوء استخدام اللغة"¹⁸ .

وهذا التصور الجديد في الدراسات اللغوية يكون فتغنشتاين قد أحدث ثورة في مسار البحوث والدراسات اللغوية التي كانت تركز على مبدأ التحقق، فيكون بذلك قد خلّص العالم من الصرامة المنطقية التي أرقت الدارسين وأهل الدراية بالفلسفة اللغوية .

وهذا الطرح ردّ فتغنشتاين على مقولات الفلاسفة والمناطق التي كانت تدعو إلى محدودية المعنى ودقته، فالقول بالزامية وجود معنى واحد محدد يميزه عن معاني الكلمات الأخرى للتعبير عن الفكر قولٌ يجانب الصواب، لأن الكلمة الواحدة لا يملك - حسب فتغنشتاين - حصرها في معنى واحد وللكلمة الواحدة أكثر من معنى واحد والدليل على ذلك أن الكلمة الواحدة عندما تدرج في اللغة العادية تنتج لنا عددا كبيرا من المعاني، يتجدد بتجدد السياقات التي نستعمل فيها هذه الكلمة .

لكن إذا قلنا للكلمة الواحدة معاني مختلفة باختلاف السياقات أو الاستخدامات التي ترد فيها الكلمة فأين المعنى النموذجي ؟ يجب فتغنشتاين على هذا الطرح بالقول إنه لا يوجد معنى نموذجي لا معنى أفضل، أو أحق، أو أصدق، من غيره كلها معاني صحيحة ، وهذا يريد فتغنشتاين أن يلمح إلى الفكرة التي دافع عليها، وهي أن المعاني تسلك مسار الاستعمالات الفعلية في اللغة العادية.¹⁹ تجدر الإشارة إلى أنه لا توجد عناصر مشتركة بين الاستخدامات المتنوعة للكلمة الواحدة وإنما يوجد فقط تشابهات أسرية بين هذه الاستخدامات المختلفة ،ليس بينها شيء واحد وثابت ومشارك ومثلها في ذلك مثل أفراد الأسرة الواحدة والتي لا يمكن الجزم بوجود صفة تجمع جميع أفراد الأسرة الواحدة .

4.نظرية المعنى عند ابن رشيق القيرواني (ت 463 هـ) :

يعد كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق المسيلي القيرواني من أكبر الكتب النقدية في بلاد المغرب الإسلامي بل في تاريخ النقد العربي القديم لما يحويه من زخم معرفي ثري ومتنوع ، وهذا ما جعل الأقلام تتسارع لاستثارة المقولات النقدية التي تزدهم في ثنايا هذا السفر المهم، وهذه المطارحة بدورها ستحول أن تستفز هذا المقولات النقدية وذلك من خلال طرح جملة من التساؤلات:

- هل اهتم النقاد العرب القدماء بوجه عام وابن رشيق بوجه بفكرة المعنى ؟
- هل عرف العرب ما يسمى بالاستعمال اللغوي ؟
- ما المحطات التي يلتقي فيها فكر ابن رشيق مع طروحات فتغنشتاين ؟
- وما الإضافات التي قدمها ابن رشيق على ما جاء به فتغنشتاين ؟.

إن من أكثر الإشكالات المطروحة في المدونات النقدية القديمة هي: إشكالية الفهم، وبما أن النمط القولي السائد في الثقافة العربية هو الشعر، درج الشعراء إلى الكتابة في هذا الضرب من

القول، فتوسط النقاد بين أصحاب الإنتاج القولي (الشعراء)، وبين المتلقين على اختلاف مستوياتهم لتسهيل عملية الفهم لديهم.

وبما أن الحضارة العربية احترفت مهنة صناعة القول جاءت المؤلفات النقدية لتعقّب على هذه الإنتاجات الشعرية، ولعل كتاب العمدة أحسن مثال على هذه الكتابات النقدية ، لأن الرجل وجد في زمن كانت فيه عجلة الإنتاج المعرفي في أوجها إضافة إلى ذلك أن كتابه جمع بين كتابات النقاد المشاركة، وبين إبداعات المغاربة في الشعروفي النقد .

لقد اهتم ابن رشيق المسيلي في كتابة العمدة على اللغة، وهذا لإدراكه بالدور الفعال الذي تقوم به اللغة في العملية الإفهامية للخطاب الإبداعي (شعرا أو نثرا) ، لأنها مكون رئيس في عملية الإنتاج الشعري، بل هي عموده الذي تقوى به لهذا كان اشتغاله بالجانب اللغوي على ثلاثة مستويات :

1.4.1. المفردة :

لقد أظهر ابن رشيق اهتماما واضحا للفظة المفردة لكونها الأساس الذي يبنى عليه نظام النص الإبداعي فنجد أنه يذكر ذلك في مناسبات عديدة في كتابه العمدة، فقد جاء في باب عمل الشعر وشحن القرينة قوله "...وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وحققها من أماكنها المقسومة لها... وكانت قلقة في مكانها نافرة عن موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب مكانها والنزول في غير موطنها ...".²⁰ فابن رشيق يولي اهتماما كبيرا للفظة ويوصي الشاعر بعدم إكراه اللفظة في سياق غير سياقها وموطن غير موطنها فإنك تجدها قلقة نابية تفسد على الناظم نظمه وعلى القائل قوله فيأتيه العيب من جهة اللفظة، ويقول ابن رشيق معلقا على أحد الأبيات:

صَبَبْنَا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَّاعٍ وَأَرْجُلُ

وقد مرّ ذكره في باب المبالغة ، فقوله ظالمين حشو أقام بها الوزن ، وبالع في المعنى أشد مبالغة من جهته حتى علمنا ضرورة إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو²¹

فالاهتمام باللفظة لا يتوقف عليها فقط وإنما تتعدى ذلك إلى مستويات عديدة وابن رشيق راعي عدة معطيات في اللفظة يمكن حصرها في الآتي:

-علاقتها بالمعنى

- علاقتها بالمتلقي

- علاقتها بالسياق

- صلاحيتها الإيقاعية²²

2.4. التركيب:

يعد التركيب من العوامل المشكلة لمنظومة القول، به يفهم القصد، ويتضح المعنى، ويسمو، وينزل، ويصيب، ويخطأ، تتلذذ القرائح إن أصاب، وأحسن، وتمجّه الأسماع إن تعثروا أعجم، ولقد

قدّم ابن رشيق جانبا مهما في دراسته للتركيب، إذ أفرد له بابا كاملا سماه بباب النظم، والذي استهلّه بقول الجاحظ، يقول ابن رشيق "قال أبو عثمان الجاحظ : أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان مجرى الدهان .

وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب كما ذكر الجاحظ لذ سماعه وخف محتملة، وقرب فهمه وعذب النطق به ، وحلى في فم سامعه، فإن كان متنافرا متباعدة عسر حفظه ، وثقل على اللسان النطق به ، ومجته المسامع فلم يستقر فيها شيء".

فجمالية النص الأدبي في التركيب أو السبك والنظم، وبتركيب الألفاظ وسبكها يحقق لدى المتلقي المقصدية الإفهامية، فقول ابن رشيق (قرب فهمه) دليل على أن المعنى يحدد عبر السياق وأي خلل على مستوي التركيب يعطل عملية الفهم لدى المتلقي .

3.4. اللفظ والمعنى :

إن من أشكال الاهتمام باللغة هو أفراد الدراسة للفظ والمعنى ، فقد شكلت قضية اللفظ والمعنى مادة دسمة في دراسات النقاد العرب القدماء، وانقسموا فيها إلى طرائق قددا فظهر لفريق انتصر للفظ على حساب المعنى وفريق انتصر للمعنى على حساب اللفظ وبرز فريق آخر حاول أن يوافق بين الطرحين ولاشك أن لابن رشيق رأي في هذا الموقف، حيث يقول: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ..كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعوز وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح ...فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه)".²³

يمكن وصف موقف ابن رشيق في قضية اللفظ والمعنى بالموقف المتزن، لأنه لا يمكن الفصل بين الطرفين، فاللفظ يكمل المعنى والمعنى يهب الروح للفظ، وكلاهما يتبادل التأثير، فإن اختل أحدهما جنى على الآخر وإن برز أحدهما أخذ بيد أخيه فالعلاقة علاقة تلازم.

وهذا دليل على اشتغال النقد العربي القديم وابن رشيق بالأخص بقضايا اللغة ممثلة في المفردة أو اللفظة ووضعها في الاستعمال السياقي والتركيب الجملي عبر مفهوم النظم، وكذلك الاشتغال بالمعنى ودوره في تحقيق غاية الإفهام لدى المتلقي .

5.أوجه التشابه بين فتغنشتاين وابن رشيق المسيلي:

يمكن حصر المحطات التي يلتقي فيه فكر فتغنشتاين مع رؤية ابن رشيق القيرواني في النقاط الآتية :

-اهتمام فتغنشتاين الكبير باللغة وأثرها في تغيير المسار الفلسفي واللساني في الدراسات الغربية قابله وعي كامل من ابن رشيق بدور اللغة في التعاطي مع النصوص الإبداعية فجّل الممارسات النقدية لابن رشيق تنطلق من اللغة كوسيلة للفهم .

- تأكيد فتغنشتاين على أن اللغة والفكر، واللفظ والمعنى، والسلوك اللغوي والفهم، على استحالة الفصل بين هذه الثنائيات ، ومحاولة الفصل بينها هي محاولة لفصل الإنسان عن ظله، وهذا لا يرد إلا في الحكايات الخرافية، ويقابل هذا الطرح ما جاء به ابن رشيق أثناء عرضه لقضية اللفظ والمعنى والذي شبه اللفظ بالجسد والمعنى بالروح، إذ لا يمكن الفصل بينهما .

- إن دراسة المعنى في الاستعمال هي أبرز فكرة أتى بها فتغنشتاين في مرحلته المتأخرة فقد أكد على أن معنى الكلمة يظهر من خلال استخداماتها في سياقاتها المختلفة، وهذا ما أكد عليه ابن رشيق من خلال عرضة لفكرة النظم والتركيب، ففي تعليقه على نص الجاحظ الذي قال فيه "وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب كما ذكر الجاحظ لذ سماعه وخف محتملة وقرب فهمه" فحسن النظم سبيل في قرب الفهم لدى المتلقي .

- ومن بين الأفكار التي تقاطع فيها رأي ابن رشيق مع طرح فتغنشتاين هو التأكيد على أنه يمكن استعمال اللفظة الواحدة بمعنيين مختلفين، ويقول ابن رشيق بهذا الصدد في باب التجنيس " ..على أنّا نجد أيضا اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة نحو العين ... " ²⁴ . إن هذا التصور الذي قدمه ابن رشيق ينم عن وعي بدور المائز للغة في توجيه مدارك الوعي لدى المتلقي.

6. خاتمة:

لقد حولت هذا المطارحة النبش في الأصول المعرفية للدرس اللغوي الغربي، وذلك من خلال تتبع المسار المعرفي للفيلسوف النمساوي فتغنشتاين الذي سلك منحى جديدا سواء في مرحلته الأولى أم في مرحلته الثانية والتي خصصناها بالدراسة والبحث، إذ امتازت بمجموعة من العتبات الفكرية تنصب في مجملها حول اشكالية المعنى، ثم حاولنا أن نقارب بين هذا الطرح وما جاء في المدونات المغربية ، وخصصنا الحديث عن ابن رشيق المسيلي من خلال مؤلفه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، وتوصلنا إلى النتائج الآتية :

- يعد فتغنشتاين علامة فارقة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، والذي استطاع بفكرة المتميز إعادة تأسيس الدرس اللغوي الغربي، وذلك بمحاولة حل مشكلات الفلسفة من خلال اللغة .
- انتقل فتغنشتاين في دراسته للمعنى من الصرامة المنطقية المبنية على مبدأ التحقق إلى اللغة في وضعها السياقي والاستعمالي.
- أكد فتغنشتاين على أن معنى الكلمة أو العبارة يتحدّد من خلال استخدام تلك العبارة في الاستعمال .

- المدونات النقدية العربية تزخر برصيد لغوي ثري يزاحم الطروحات الغربية

- هناك تقاطع بين أفكار فتغنشتاين وابن رشيق المسيلي سواء في دراسة المعنى بصفة عامة أم دراسة المعنى في الاستعمال .
 - لقد ظهر اهتمام ابن رشيق القيرواني بدراسة المعنى السياقي من خلال تبنيه لفكرة النظم .
- هذه الدراسة تفتح الباب أمام الباحثين إلى عقد مقاربات بين فكر فتغنشتاين والكتابات اللغوية والنقدية العربية القديمة، إذ لا شك تجد مكانها في طروحات فتغنشتاين التي شكلت مسارا جديدا في الدراسات الفلسفية واللغوية عبر التاريخ.

الهوامش:

- ¹ ينظر صلاح إسماعيل عبد الحق،(1993) ، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت لبنان ص 5
- * فيلسوف نمساوي، رائد "الفلسفة التحليلية" الحديثة، وأحد أهم فلاسفة القرن العشرين، ولد في فيينا بالنمسا، ودرس بجامعة كمبردج بإنجلترا وعمل بالتدريس هناك، وحصل على الجنسية البريطانية، وفي تلك المرحلة نمت بينه وبين أستاذه برتراند راسل صداقة عميقة ورفقة فلسفية ثمينة، أثمرت ثمراً وفيراً في مضمار الفلسفة التحليلية. يعتبر لودفيغ فتغنشتاين "من أشهر الأسماء في الفكر الفلسفي في القرن العشرين رغم قلة عدد أعماله – نسبياً- ورغم قصر المدة التي كرسها للفلسفة من حياته، نشر عام 1921 كتاباً تحت عنوان: "بحوث منطقية- فلسفية"، وتُرجم في العام التالي إلى الإنجليزية، وهو الكتاب الوحيد الذي نشره فيتغنشتاين في حياته. نشر تلامذته بعد موته عدة كتب مهمة هي: "استقصاءات فلسفية" ثم "ملاحظات حول أسس الرياضيات" ثم "الكتب الزرقاء والكتب البنية" وهي مجموعات من الملاحظات والأفكار والفقرات تدور كلها حول اللغة وعلاقتها بالتفكير والمنطق وقضية الاتصال (نقل الأفكار والمعلومات) ثم: "فلسفة النحو اللغوي، ينظر: سامي خشبة : (2008) مفكرون من عصرنا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 618-619
- ² لودفينج فتغنشتاين ، (دت)، تحقيقات فلسفية ، تر: عزمي اسلام ، شركة المطابع العالمية ، دط ، ص 15
- ³ جواد ختام ، التداولية أصولها ومفاهيمها ، نور المعرفة ، ط1 ، الأردن ، 2016 ، ص 36
- ⁴ صلاح إسماعيل عبد الحق،(1993) ، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ص15
- ⁵ ينظر اليامين بن تومي فلسفة اللغة قراءة في المنعطفات والحديثات الكبرى ، ابن ندين للنشر والتوزيع ، ط1 ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، المحمدية الجزائر ، 2013 ص 14
- ⁶ فتغنشتاين: بحوث فلسفية، المرجع السابق ص 48
- ⁷ المرجع نفسه، ص 48
- ⁸ ينظر: محمود فهي زيدان ، فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط ، بيروت ، 1985 ص 103
- ⁹ فتغنشتاين: المرجع السابق ص50
- ¹⁰ فتغنشتاين المرجع السابق، ص 62
- ¹¹ فتغنشتاين: المرجع السابق، ص 187

¹² رشيد الحاج صالح التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتغنشتين ، عالم الفكر ، الكويت ، 29 ، 4 ، 2001 ، ص 200

¹³ فتغنشتاين: تحقيقات فلسفية ص151

¹⁴ المرجع نفسه، ص153

¹⁵ المرجع نفسه، ص154

¹⁶ المرجع نفسه، ص339

¹⁷ المرجع نفسه، ص114

¹⁸ المرجع نفسه، ص 130

¹⁹ ينظر رشيد الحاج صالح التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتغنشتين ص 106

²⁰ ابن رشيق القيرواني،(1981)، العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط5 ، سوريا ، ص 128

²¹ المرجع نفسه ، ص 242

²² ينظر: عبد القادر زوقي ، ادبية النص عند ابن رشيق ، دار كوكب العلوم ، ط1 ، الجزائر ، 2014 ، ص 201

²³ ابن رشيق القيرواني: العمدة ص 105

²⁴ المرجع نفسه، ص: 109